Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:14, N°:1 – 2024, P.P :66-87

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 14، العدد 1- 2024 ، ص.ص: 66-87

التوطين التكنولوجي في عصر العولمة الاتصالية ودور العلوم الإنسانية في نقد إيديولوجيا التقنية

Technological localization in the era of communication globalization and the role of human sciences in criticizing the ideology of technology

فريد الصغيري

جامعة القيروان (تونس)/ تونس، farid_sguiri@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2023/05/24 ؛ تاريخ القبول : 2023/06/17 ؛ تاريخ النشر : 2024/02/20

الملخص

يعبر الواقع الثقافي في عصر العوالم الافتراضية عن حجم اكتساح الوسيط الالكتروني لمختلف الأنشطة الفكرية والظواهر المجتمعية البشرية، كالتعليم والاتصال والاقتصاد والثقافة والترفيه وبقية الممارسات الإنسانية التي وجدت في هذا العالم شبيها رقميا لها ونظيرا إلكترونيا تفاعليا. فإلى أي مدى حافظت العلوم الإنسانية على إشكالياتها العلمية ومباحثها الثقافية التقليدية؟ وماهي الآليات المناسبة لبناء الوعي الفكري والثقافي الناقد لإشكاليات التغيير التكنولوجي للممارسات والتفاعلات الاجتماعية الآلية؟ وهل يمكن لمنظوماتنا التعليمية أن تكون فاعلة في بناء نماذج فكرية وثقافية حقيقية تواكب الإتاحة التكنولوجية الراهنة ولا تتخلف عنها؟

الكلمات المفاتيح: المتغير التكنولوجي، العولمة الاتصالية، العلوم الإنسانية، إيديولوجيا التقنية، الخيار التكنولوجي.

Abstract

The cultural reality of the age of virtual worlds is the extent to which the electronic medium has swept various intellectual activities and human societal phenomena, such as education, communication, economics, culture, entertainment and other human practices that have found in this world a digital-like and hidden electronic counterpart. To what extent has the humanities preserved their traditional scientific forms and cultural research? What are the appropriate mechanisms for building critical intellectual and cultural awareness of the problems of technological change in automated social practices and interactions ? Can our university and school organizations be effective in building real intellectual and cultural models that keep pace with, and do not lag behind, the current technological availability?

Key words: Technological change, globalization of communication, humanities, technology ideology, technological choice.

1.مقدمة:

ساهمت العولمة الاتصالية الحديثة في تطوير تكنولوجيات المعلومات والاتصال، ومكنت من إيجاد أدوات ومقاييس ثقافية واجتماعية جديدة لتشكيل وعي الإنسان المعاصر، وذلك في ظل تقاطع الثقافات المحلية مع مضامين تراثها ولحظات تشكلها مع ثقافات أخرى معولمة، وأنماط عيش مستحدثة، متنكرة لسوسيولوجيا الجذور الفكرية والأعماق الاجتماعية لمجتمعاتنا المحلية، جاحدة لسحر رموزها وهوياتها الأصلية.

فإذا كانت الحتمية التكنولوجية هي خضوع الإنسان إلى التكنولوجيا ومتغيراتها بصورة ميكانيكية، فإن الخيار التكنولوجي هو استجابة التقنية لمطالب المجتمع، وحاجة أفراده للفكر النقدي الذي يؤمن بتحويل المعرفة إلى منتجات حيوية في خدمة الأفراد، وذلك بعد بلوغهم حالة من النضج الاجتماعي والفكري الذي يمكنهم من النقد والمقارنة والاختيار.

فما هي أبرز تصورات تعزيز الفكر النقدي المعاصر في مجالات علم الاجتماع والثقافة والإعلام والاتصال من أجل تجنب آليات الهيمنة الأداتية، وتهديد التقنية للمعايير الإنسانية والأخلاقية للتواصل البشري؟ وكيف تعاملت العلوم الإنسانية مع واقع اكتساح الشبكات الاتصالية، ودورها في التغيير الثقافي والاجتماعي؟ وهل يمكن اعتبار المجتمع وليدا للتغيير التكنولوجي المتسارع؟، أم أن التكنولوجيا لا يمكن أن تكون سوى صناعة للتغيير الاجتماعي الذي أوجدها؟

2 – مجتمع الانترنات وإشكاليات التفاعل الاجتماعي الآلي:

لقد أدى ظهور تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى ظهور ما يسمى بمجتمعات المعلومات أو مجتمعات الشبكات، إذ تحولت المعلومات على اختلاف أصنافها وأوعيتها إلى عنصر مركزي في اهتمام العاملين والفاعلين الاجتماعيين إنتاجا وتحليلا وتوزيعا. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الخدمات المتنوعة لشبكة الأنترنات، التي ساهمت في وقت وجيز في إحداث تحولات مجتمعية

متسارعة وهامة في كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية، والتي تجسمت في إنتاج اجتماعية جديدة "une nouvelle socialité". وهو ما جعل المجتمعات المحلية الافتراضية أو الجماعات الأنترناتية تندمج بسرعة على الشبكة في أمكنة ثالثة رقمية مثل الشبكات الاجتماعية للحوار والتراسل الإلكتروني، إذ يمكن للمشاركين في مختلف هذه الأمكنة التحرر من القواعد والضوابط الرسمية لواقع الحياة اليومية.

ويرى «هاورد راينغولد" "Haward Rheingold" صاحب مفهوم "الأمكنة الثالثة"، أن هذه الأمكنة الافتراضية الجديدة المقترنة بمجتمع الأنترنات، هي ردة فعل اجتماعية واستجابة لجوع الناس وافتقادهم لفضاءات التعبير الحقيقية في المجتمع المعاصر بعد تفتت وتفكّك المجتمعات المحلّية التقليدية، وضياع مفهوم المجتمع المحلي شيئا فشيئا في المجتمعات الاتصالية الحديثة.

لذلك يعتبر هذا الطرح أساسا منهجيا مهمّا لدراسة المقاربات الاتصالية لمجتمع الأنترنات والتحولات الاجتماعية والفكرية المترتبة عن هذه التشكلات التقنية الجديدة. فالمجتمعات الافتراضية بهذا المعنى هي تجمعات اجتماعية وثقافية تنشأ على شبكة الأنترنات بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبرني.**(Hamman, 2010)**

إن كل ما تقدمه تقنيات الإعلام والاتصال من خدمات اتصالية متنوعة في مجتمع الأنترنات يؤشّر وينبئ حسب عديد الملاحظين بنشأة مجتمع اتصالي جديد بصدد التشكل.

إن هذا المجتمع الذي ينفتح على مختلف المسارات والاتجاهات ويفرض مكتسباته التقنية على اجتماعيتنا الحالية، يسير بخطى ثابتة نحو التحول إلى واقع سوسيولوجي نتيجة تغير الواقعة الاجتماعية والبشرية تغيرا كبيرا، بحيث أمست واقعة اجتماعية بشرية آلية مما سيؤدي إلى تغير كل علم وكل ممارسة ترتبط باجتماع الإنسان بالإنسان.**(Bougnoux, 1998)**

إن بناء مجتمع الأنترنات لا يقتصر فقط على إعداد البنية التكنولوجية وتوفير الحواسيب وغيرها من التقنيات الاتصالية المتطورة، وإنما يتمثل كذلك في صياغة الرؤى والأفكار والاتجاهات والقيم والمعايير السلوكية وأنماط العلاقات والمعاملات التي تشمل كافة جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية. "لأن عامل التنمية الأول سيكون في القرن الحادي والعشرين الدماغ قبل اليد

والساعد، بصفته قرن الثورة الثقافية والتكنولوجيا الرخوة، مثلما كان القرن الماضي والذي قبله قرن الثورة الصناعية والتكنولوجيا الصلبة." **(طرابيشي، 2000، صفحة 184)**

إن سرعة انتشار التكنولوجيا الجديدة للاتصال والمعلوماتية بفضل التقنيات الفائقة الدقة في الاتصالات، أصبحت مصدرا من مصادر القوة والثروة التي تدعم حركة العولمة الاتصالية من خلال شبكة الأنترنات، وحجم ارتباط البشر في كل أرجاء المعمورة من خلال الطرق السيارة للإعلام والاتصال، وظهور مفاهيم جديدة من قبيل المجتمع الإعلامي والمجتمع الشبكي، والفضاء الافتراضي الرقمي الذي يقوم على بنوك المعلومات وتعدد الشبكات الاتصالية. ولا تعدو أن تكون هذه التسميات والمفاهيم ضربا من ضروب الإيديولوجيا التكنولوجية، وشكلا من أشكال التغطية والإخفاء لهيمنة الشركات الإعلامية وأهدافها بتوسيع أنشطتها، ورفع ربحيتها. وعند هذه النقطة يلتقي مشروع المجتمع الاتصالي الكوني مع ظاهرة العولمة في مقوماتها الثقافية والاقتصادية القائمة على كسر الحدود الجغرافية واختراق الثقافات المحلية. **(اليحياوي، 2002، صفحة 28)**

وبتحقيق هذا اللقاء تأكد أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال قد مهدت الطريق أمام مسار العولمة، ويسرت لها السبيل لتركيز مشروع القرية الكونية والعالم المترابط. ونحن في إطار بحثنا في المقاربات الاتصالية لمجتمع الأنترنات والإشكاليات المترتبة على عولمة هذه التكنولوجيات المعلوماتيّة، لا نتعرض إلى ظاهرة العولمة وإشكالاتها إلا من حيث علاقتها بمحاذير الاستخدام الاجتماعي المتنوع لوسائط الاتصال الجديدة، وثنائية الانتماء إلى العالمين الواقعي الحقيقي والافتراضي الخيالي، وذلك في مقابل تباين المواقف وتعارضها تجاه هذه الثورات الاتصالية والتقنية المتعاقبة التي تمر بها الإنسانية، بين من يرى فيها مظهرا إيجابيا من مظاهر الحداثة التي تعمل على تكريس التفاعل الاجتماعي والمعلوماتي بين الثقافات والحضارات، وبين من ينظر إليها كمجال لانتهاك حقوق الإنسان، وكبح حريته، ونشر ثقافة الاستهلاك بصفتها إحدى آليات الهيمنة المفروضة، وذلك على حساب الثقافات المحلية.

" إن الحدود غير المرئية التي ترسمها الشبكة المعلوماتية العالمية، لا تقتصر على الاقتصاد بل تتعداه لتشمل الأذواق والسلوكيات والأفكار، وتمس الزمان والمكان وما يمكن أن يتبع ذلك من تجنيس لثقافات العالم وطمس لخصوصياتها." **(سليمان، 2009)**

2-1 تعدد المقاربات الاتصالية لمجتمع الأنترنات والتمثلات الاجتماعية الجديدة:

إن تفاعل الأفراد مع التقنيات الاتصالية الجديدة لمجتمع الأنترنات، يؤكد التأثير الاجتماعي والثقافي الذي تمارسه الشبكات التفاعلية على مستخدميها في جميع أنحاء العالم، لأن جملة التفاعلات المحصلة تتحدد بعناصر التأثر والاستجابة والمشاركة، (التأثر الإيجابي أو السلبي، والاستجابة الكلية أو الجزئية، والمشاركة الفعلية أو الصورية).

وهكذا أصبحت هذه الوسائط ظاهرة اجتماعية شاملة، تسهم في تغيير المفاهيم التقليدية في مجالات حياتية عديدة مثل التعليم والعمل والتثقيف. ومكنت الجماعات البشرية الحديثة من التكيف مع وضعيات عيش غير مألوفة، والبحث عن طرق ومسالك جديدة تساعدهم على فهم ما يجري حولهم من أحداث ووقائع، فهي عبارة عن " نافذة يواجه من خلالها الإنسان العالم على اتساعه بحيويته المتدفقة وديناميته الهادرة وإشكالاته المتعددة والمتراكمة. إن شبكة الشبكات هذه تعيد صياغة العلاقة بين الإنسان وعالمه، بين الفرد ومجتمعه، بين ثقافة الفرد وثقافة غيره." (علي، صفحة 94) فمن خلال خطوط الاتصالات فائقة السرعة يستطيع الناس عبر الزمان والمكان، تحقيق الارتباط وتبادل البيانات والمواقف والاتجاهات.

إنّ مجاز المكان يرى الأنترنات – تارة – فضاء رمزيا خائليا موازيا لفضاء عالم الواقع، وتارة أخرى، طريقا فائق السرعة لنقل بضاعة صناعة الثقافة. " إنها متاهة هائلة من مسالك التشعب وعلاقات الاندماج المتطايرة والمتجددة، بالبلايين من خطوط الاتصال في رهافة خيوط العنكبوت." (علي، صفحة 95)

إن التغيير الحاصل في النمطية الاتصالية المعروفة، التي تتأسس على رؤية خطية "Conception linéaire" وتسلسلية "hiérarchique"، وسكونية "Statique" للوقائع الاجتماعية، دفع العلوم الإنسانية وعلوم الإعلام والاتصال إلى الالتجاء إلى مفهوم الشبكة لمقاربة الواقع الاجتماعي والثقافي والاتصالي كرؤية جديدة لكل ما يتصل بحياة الناس وشواغلهم في ظل فيض وغزارة المعلومات اللامحدودة.

فكيف تعاملت العلوم الإنسانية مع مفهوم الشبكات الاتصالية، التي تعبر عن تغيرات جديدة في طرق مقاربة الواقع الاجتماعي بكل عناصره ومفرداته؟

* المقاربة الاتصالية: ترتكز على إعطاء مجالات أكبر من التفاعل والمبادرة للفاعلين الاجتماعيين في علاقتهم بالآخر الافتراضي من خلال الشبكة، مع الأخذ في الاعتبار في ذات الوقت نوعية السياقات والحتميات الاجتماعية المحيطة بالإضافة إلى خياراتهم وحرياتهم الفردية. ويمكن للرسائل الشخصية أن تصل في وقت واحد إلى عددٍ غير محدود من البشر، بما يتيح لكل فرد أن تكون له نفس درجة السيطرة، ونفس درجة الإسهام المتبادل في هذه الرسائل. وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالمخاطبة الرقمية المزدوجة للاهتمامات والرغبات، وهي حالة لا يمكن تلبيتها في المنظور الاتصالي التقليدي. (صادق، 2007)

* المقاربة السوسيولوجية : إن هذه الأوضاع غير المألوفة المرتبطة بمجتمع الأنترنات والاتصال الافتراضي، قد أدت إلى غياب علامات ونقاط استدلال ملائمة، تمكن مختلف أطراف الفعل الاجتماعي من قراءة موضوعية للعلاقات التي يقيمونها مع الذات ومع الآخر المنتشر عبر العالم، وهو ما يتطلب من الباحثين الاجتماعيين تركيز اهتماماتهم العلمية أولا وقبل كل شيء على العلاقات التي ينسجها الأفراد والجماعات الاجتماعية في المحيط الاجتماعي والثقافي القريب أو البعيد، وذلك عوضا عن إعطاء الأولوية للأصناف الاجتماعية "Les catégories sociales".

* المقاربة الاقتصادية: لقد مكنت هذه المقاربة من دراسة الوقائع والظواهر الاقتصادية ومعالجتها ضمن سياقات العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تقوم على الثقة والتجاذب والتعاون

والتضامن والتنافس: بعد أن كان ينظر لها بالأمس القريب على أنّها علاقات غير اقتصادية أي علاقات مربكة ومعطلة. (يوسف، صفحة 325)

* المقاربات المعاصرة: يعتبر الاتصال الجديد "La nouvelle communication"، نمطا تواصليا حديثا، متجاوزا للأنماط التواصلية التقليدية البسيطة بين المرسل والمتقبل، ينزع من خلال آلياته ووسائطه إلى التموقع خارج الواقع الموضوعي، المادي للناس والتفاعل من خلال الشبكات والعلاقات الذاتية التي تربط بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية. وهو ما ساهم في تغيير القناعات والأفكار، واستبدال العديد من المفاهيم التي كانت بالأمس القريب فقط ملائمة ومناسبة للاتصال بين الناس.

وأمام هذا الانسياق الإنساني الشامل لسلطة الوسيط الشبكي، تطرح المقاربات الاتصالية المعاصرة أفاقا جديدة للحوار تجاه الإشكاليات المستحدثة، الناجمة عن توسيع استخدام الشبكات، وتأثير ذلك على العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات، وبين الأمم والثقافات والأديان والحضارات. (يوسف، صفحة 327) وهو ما يعني توق الجماعات البشرية إلى الحوار والانخراط في نقاشات معمقة تتصل بالعنف والإرهاب والحرب والجوع والخوف وذلك من أجل تحقيق أطر اتصالية جديدة، تقوم على مفاهيم الحرية والأمن والأمان والاعتراف بالآخر، واحترام الهويات الفردية والجماعية والتعاون بين المجتمعات.

* الاتصال التفاعلي والتحولات الاجتماعية الجديدة: أوجدت شبكة الانترنات فضاءات اجتماعية جديدة، وأحدثت نوعيات متجددة من العلاقات المترابطة، التي تحيلنا إلى مفهوم الرابطة الاجتماعية عند ماكس فيبير " Max weber " (Elias، 2009) ومفاهيم الأفراد المترابطين Les individus interdépendants" التي قدمها " نوربار إلياس " " Norbert Elias ". وهي مفاهيم تقطع مع صفة الفردانية وعزلة الفرد الاجتماعية، وذلك من أجل تحقيق التضامن والتعاون والتماسك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة، باعتبار أن الفرد هو سليل البنى الاجتماعية المكونة للمجتمع وجزء لا يتجزأ من دينامياته الشاملة.

ساهمت التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال في تدعيم مبدأ التفاعلية في علاقة المتقبل بمكوّنات العملية الاتصالية، إذ تؤكد العديد من الدراسات في العلوم الإنسانية أهمية التفاعل شرطا أساسيا للفعل الاتصالي. لقد اشترط "شومسكي" حضور رجع الصدى وتبادل الآراء لقيام اتصال حقيقي بين الباث والمتقبل، يقول في هذا الصدد "إن الرسالة التي يمكن لناشرها أن يبعثها عن طريق الكلام، شفاهيا أو سمعيا أو مرئيا، لابد أن تتعقبها رسالة رجع صدى حتى تتم عملية الاتصال بشكل كامل." (شومسكي، 3003، صفحة 47)

كما اعتبر "جون ديوي" الاتصال عملية اجتماعية تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس، وهي عملية تفاعل بين الطرفين، واشتراك في المعنى من خلال التفاعل الرمزي الذي يعتبر ضرورة من ضروريات استمرار الحياة الاجتماعية لتحقيق التكامل الاجتماعي وخلق فرص التفاهم والحوار. (بدوي، 2004، صفحة 30)

3 – خصائص التفاعل الإنساني الآلي في الفضاءات التعليمية والجامعية:

3 –1 الفضاء الشبكي تجليات التواصل الاجتماعي والتفاعل الإنساني الآلي:

لقد تغيرت خصائص الفضاء الشبكي، وتحولت الممارسات الافتراضية إلى مسألة قائمة بذاتها. وأصبح الرصيد المعلوماتي المتفرع عن الطرق السيارة للمعلومات محورا لعملية التنمية من خلال شبكات المعطيات الرقمية متعددة الوسائط (نص، صوت، صورة)، التي غطت كافة أنحاء العالم، وفتحت سبل التواصل المباشر عبر الشبكات بين مختلف الشعوب والثقافات والحضارات.

إن الخصائص العامة لهذا الفضاء الجديد، تقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي اللامادية، من حيث تجريد الأشياء من أبعادها المادية، واللاتزامن ، من حيث عدم الحاجة إلى تحديد مواعيد حضورية، واللاتموقع من حيث تعدد الأمكنة والفضاءات.

لقد شكل هذا الفضاء البنية الحديثة لمجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة، وطوّر العلاقات البشرية في اتجاه أكثر تشابكية، مما أدى إلى ظهور ممارسات اتصالية ثقافية مستحدثة، وبلورة ثقافة جديدة

يصعب التكهن بخصوصياتها وإفرازاتها ونتائجها، رغم إجراءات الرقابة والحماية التي تفرضها عديد البلدان على محتوى الخطاب الإلكتروني الذي " لا علاقة له بقانون مطبوعات ونشر أو مواثيق شرف أو هوية وخصوصية، هذا الخطاب عابر للحدود بمعنى الكلمة، وغير مرتفع التكاليف، وقد يكون غير محدد المصدر، فلا تعرف في بعض الأحيان مع من تتحدث." **(خميس، صفحة 171)** لذلك فإن التكنولوجيات الاتصالية الحديثة لهذا الفضاء، تؤسس للشراكة الاجتماعية وانفتاح الثقافات وتفاعل مكوّناتها ورموزها الأصلية، مع ما يتبع ذلك من تلاقح لمختلف هذه الثقافات، والتأسيس لممارسات اجتماعية جديدة تتميز بكثافة استخدام التكنولوجيات والذكاء الآلي والكفاءات البشرية في تنظيم عمليات الإنتاج بمختلف أشكاله المادية واللامادية. لقد ساهمت تكنولوجيات المعلومات والاتصال والحاسوب في عولمة الإنتاج بمختلف أصنافه الاقتصادية والاتصالية–الثقافية، لذلك يعتبر الفضاء الشبكي تجسيدا لجملة من التفاعلات الرمزية العابرة للجغرافيا الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، والتي يمكن إجمالها في مفهوم "القرية الكونية" "le village global"، التي تحدث عنها "مارشال ماكلوهان" من خلال تحليله لاستخدامات التقنيات الاتصالية، التي مثلت امتدادا وظيفي للأعضاء الخارجية للفرد في صراعه مع الطبيعة ومع غيره من الأفراد. **(Marshall Mac Luhan، 1972، صفحة 44)** وعليه يمكن اعتبار هذه التقنيات وسائل لتطوير آليات التفاعل البشري، باعتبار أن المنتجات الثقافية وأصناف المعلومات تنتشر في الفضاء الاتصالي الواسع في شكل أنماط سلوكية جاهزة وسلع ثقافية متنوعة، تكيف أذواق الأفراد في هذا المجتمع المترامي الأطراف، الذي بدأت تتكسر حدوده الجغرافية التقليدية بعد أن تم اختراقها من قبل الوسيط الافتراضي الذي عقّد الواقع الاجتماعي، وجعل فضاءاته غير واقعية، يسمح كل مكان فيها بالاختراق والنفاذ.

إن هذا الفضاء الاتصالي الجديد بشبكاته التقنية المختلفة لا يمثل مجرد وسائط ناقلة للمعلومات، بل يحيلنا إلى صورة الشبكات الرمزية التي تعمل على إنتاج وتمرير أنسجة دلالية من الأفكار والعادات والسلوكيات والانفعالات النفسية، التي أصبح من الممكن ممارستها إلكترونيا بعد تحويلها إلى طقوس علائقية مشتركة تفقد الكثير من أدوارها التفاعلية والتثاقفية الحقيقية.

إن الفضاء الشبكي لعصر المعلومات والوسائط الاتصالية قد ساهم في بناء التواصل الاجتماعي وفق تراتبيات جديدة، وأولويات مستحدثة ومفروضة على جميع الدول والمجتمعات بشكل أو بآخر، وذلك من خلال تغيير التمثلات والقيم الاجتماعية وإنتاج احتياجات ثقافية جديدة.

إن ثورة الشبكات الاتصالية الحالية وما رافقها من انفجار اتصالي واسع النطاق، هي بصدد تحويل أنساق الاقتصاد والسياسة والثقافة إلى متغيرات مستقلة تعمل على تحطيم أدوار ووضعيات اجتماعية قائمة، وتنشئ أخرى غير مألوفة، معيدة بذلك تجديد آليات التفاعل والتواصل البشري، ومستفيدة من درجة التطور التنظيمي لهذه البيئات التكنولوجية الجديدة.

2 –2 تمثل الوسيط الالكتروني في الفضاءات الجامعية:

إن مسألة خلق الوعي الاجتماعي بالظاهرة المعلوماتية في مجالاتها وأبعادها المختلفة تعتبر من التحديات الكبرى للمجتمعات المعاصر التي حرصت على استحضار هذه التكنولوجيا المتمثلة أساسا في الشبكات الالكترونية ضمن مخططاتها وبرامجها التربوية، وسعت إلى استنباتها في مختلف الفضاءات الاجتماعية سواء كانت عائلية أو مدرسية أو عامة، مما يسهل عملية التمثل الإيجابي لهذه الأنماط الاتصالية الجديدة. ذلك أن الإستراتيجيات التأهيلية المعمول بها في هذه الفضاءات المختلفة، يجب أن تركز على تزويد الأفراد بعدّة تقنية ومعرفية تمكنهم من مساءلة التكنولوجيا، بحيث يستطيعون تجاوز أدوارهم باعتبارهم مستهلكين، ليكونوا مشاركين فاعلين في تشكيل هيكلتها ومضامينها، انطلاقا مما توفر لهم من مواقف ورؤى نقدية تمكنهم من غربلة المضامين والمفاضلة بينها، واستبعاد كل ما من شأنه أن يمثل قيمة سلبية تتعارض مع الحاجات الحقيقية لفئات المجتمع.

وانطلاقا من أن المستخدمين لهذه الوسائط الالكترونية هم جوهر المسألة وبيت القصيد، فإنهم ما لم يصبحوا فاعلين رئيسيين في تشكيل هيكلة الشبكة تقنيا ومعرفيا، فإنهم لن يستطيعوا تمثل هذا الفضاء الرقمي الجديد وإدارته بما يتناسب وإرادتهم الجماعية.

لقد أدّت التحدّيات المعلوماتيّة بأبعادها المختلفة وخاصّة من خلال شبكة الانترنات إلى تغيير في النّظريّات التّربويّة المتعلّقة بتعلّم الفرد، وخاصّة بالنّسبة إلى التّحوّل من البيئات المغلقة في التّعلّم إلى البيئات المفتوحة، ومن الكتاب والمدرّس مصدرا للمعرفة إلى التعّلم التكاملي، ومن الاعتماد على أساليب الحفظ والتّلقين إلى مهارات طرح الأسئلة والاستقصاء، ومن التّعلّيم الجماعي العمودي إلى التعلّم التعاوني الّذي يعتمد المشاركة النشيطة الهادفة والتّفاعليّة. (المعلوماتية)

وفي هذا الصّدد تعتبر الفضاءات التعليمية والجامعيّة المستفيد البارز من هذه التّكنولوجيّا المعلوماتيّة، باعتبارها السّاحة العلميّة والثّقافيّة الّتي تشهد عمليّات التجديد والابتكار الكمبيوترية حيث أصبح العديد منها مراكز ومختبرات لبحوث متقدّمة انطلاقا ممّا توفّره لطلاّبها من إمكانيات التنقيب عن المعلومة من أجل البحوث المشتركة وأداء أعمال الواجب المدرسي المنزلي (رضوان، الكويت، صفحة 324).

لقد أصبح من السّهل على الطلاّب استلام المواد الدّراسية ومذكّرات المحاضرات في ظل تعميم الأنترنات في الجامعات، والتمكّن من الاتصال بأساتذتهم وبمكتباتهم من دون أيّ قيود أو عقبات، لذلك يبدو أنّ استخدام الأنترنات سيكون الظّاهرة المميّزة للتعليم بأشكاله ومراحله المختلفة بما في ذلك برامج التّعليم المستمر "continung education (أمان، 2000، صفحة 72).

لقد أتاحت الشبكات الالكترونية إمكانات واسعة لطريق المعلومات السّريع، وفتحت بذلك سبل التّكوين والتأهيل الجامعي أمام الطّلبة غير المنظّمين في مختلف أنحاء العالم، من أجل الاستفادة من أفضل الدّورات التكوينية، والحصول على أعلى الدّرجات العلميّة، كما سيمكّن هذا التّوافر الاتصالي والمعلوماتي الكبير من تطوير الكفايات التدريسيّة للمؤسسات الجامعيّة من خلال تدعيمه بكفاءات فكريّة وعلميّة جديدة، سيكون بإمكانها أن تشارك في عمليّات التدريس بصورة غير مباشرة، من خلال المحاضرات والمؤتمرات الإلكترونية التي توفّر درجة عالية من التّفاعليّة والمشاركة بين جماعات النقاش المؤلفة من الأساتذة والطّلبة الباحثين. وهو ما يعرف بالتّعليم عن بعد الّذي يستعين بالعديد من البرمجيّات التي تتوفر فيها كل متطلبات إعداد المادّة الدّراسيّة، بما في ذلك المحاضرات والاختبارات والمناقشات ورصد الدّرجات التقييمية، إلى جانب متطلّبات الطّلبة من وثائق ومقررات

إلكترونيّة، وقواعد بيبليوغرافيّة ونصّية كاملة محمّلة على حواسيب المكتبة الموجودة على الشّبكة. وقد ساهم هذا الأمر في ظهور جامعات افتراضية بأكملها على الأنترنات مثل جامعة "وسترن غفرنر" "Western Governors " لتقدّم برامجها لطلبة التّعليم عن بعد، وتعمل بالتّالي على إزالة الحاجز الجغرافي الّذي يفصل الطّالب عن الجامعة. (أمان، 2000) وهو أمر أثبت جدواه في ما يعرفه العالم حاليا من تباعد اجتماعي بسبب جائحة "كورونا" وضرورة الانخراط في منظومات إلكترونية تؤمن التكوين والتفاعل العلمي والأكاديمي عن بعد.

4 – الثقافة الإنسانية بين التغيير الاجتماعي وعنف الإيديولوجيا الاتصالية:

لقد ارتكزت ثقافة ما بعد الحداثة، على الحضور الفاعل والمتميز لوسائل الإعلام والاتصال، وقدرة المجتمعات الجديدة على الإبداع التكنولوجي بما في ذلك التقسيم الدقيق للوقت، وتجاوز المقاييس الزمنية المعروفة. حيث اهتمت أبحاث "إدغار موران" "Edgar Morin" بتأثيرات الصورة في الإنسان، من حيث هي بنية بصرية دالة، وتشكيل رامز حي، تتنوع في داخله الأساليب والعلاقات والأمكنة والأزمنة.

فوسائل الإعلام والاتصال، تبث وتنشر في كل لحظة أشياء كثيرة لها علاقة بالثقافات المختلفة، وخاصة تلك التي تعتمد على الخيال والنقل غير المباشر للأفكار والأحاسيس، مما قد يؤثر في المتلقي ويدفعه إلى التواصل وبناء المواقف الثقافية. وهو ما يمنح للاتصال معاني أوسع، وسبلا أوفر لممارسات ثقافية جديدة، ترادف ما تحمله الثقافة في معناها الأنتروبولوجي من مضامين ودلالات.

فالتحديات المطروحة على الثقافة في هذا السياق المعولم، تكمن في مخاطر الاستيعاب والتنميط على مستوى كوني، بمعنى أنها مهددة بإفراغها من مضامينها الجوهرية، وتحويلها إلى جملة من القيم والسلوكيات الاستهلاكية. إذ بقدر ما يفتح عصر الوسائط الرقمية آفاقا اتصالية كبيرة توسع من حجم التبادلات والمحتويات الثقافية، وتسهل

التقارب والاتصالات البينية بين الأفراد والجماعات، فإنه يفرض في الوقت ذاته تجانسا مفرطا، وتدميرا منظما لهويات ثقافية واجتماعية لفائدة أخرى. (Morin، 1997، صفحة 47)

يسير الزمن الافتراضي لعصر الاتصال بوتيرة أسرع من تلك التي يقوم عليها زمن التحوّلات الاجتماعية والثقافية، فما كان يخضع له الفاعل الاجتماعي طيلة تنشئته الاجتماعية أصبح يعيشه ضمن لحظات معدودة على مسار الزمن الافتراضي. إن جملة ما يتلقاه الفرد من مفاهيم وأفكار وسلوكيات بصورة تدريجية عبر المراحل المتباعدة والمنفصلة في الزمن الاجتماعي، أصبح من الممكن اختصاره وتقديمه تزامنيا في فاصل زمني محدود، وذلك أمام تراجع فاعلية الحدود الجغرافية واستبدال المحلي بالعالمي، وتراجع القيود على دوائر الانتماءات الثقافية والنماذج الاجتماعية.

إن هذا يدفعنا إلى التساؤل، في ظل هذا التقارب بين مجتمعات العالم وجماعاته الإثنية والثقافية على أسس اتصالية جديدة، عن ماهية التغييرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة والعلاقة بينهما ؟، وما مفهوم الثقافة الاتصالية ؟، وما الذي يمكن أن تغيره في واقع المجتمعات الحالية؟

وأمام تنوع الممارسات الافتراضية، وتعدد اتجاهاتها وأشكالها – إلى درجة استحال معها التمييز بين الافتراضي والواقعي، وبين الممارسات والتمثلات – ظهرت تيارات فكرية عديدة في مجال البحث الاتصالي، ترى أن الثقافة الاتصالية الجديدة هي السبيل الأمثل للتحديث والتغيير الاجتماعي في المجتمعات النامية، في ما يرى أصحاب التيار النقدي الذي انبثق من التراث النقدي للفكر الاجتماعي الأوروبي، أن سيطرة الثقافة الاتصالية الغربية بمؤسساتها ورموزها الفكرية والاجتماعية على وسائل الإعلام في المجتمعات الانتقالية، يعدّ مظهرا من مظاهر الهيمنة الكونية للغرب، وشكلا من أشكال الاستعمار الثقافي الجديد. ويحرص هؤلاء على التأكيد أنه لا وجود لممارسة اتصالية محايدة في ظل السياقات التفاعلية الجديدة التي أفرزها الواقع الافتراضي، اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، وهيمنة ثقافة وفكر الطبقات المسيطرة على مختلف الممارسات الإعلامية، التي أصبحت تؤثر بصورة حاسمة في تشكيل اتجاهات وقيم الجمهور والرأي العام.

إن التقنية الاتصالية وفق ما تقدمه سوسيولوجيا الاتصال، لا يمكن استبعادها من دائرة التأثير الثقافي والاجتماعي في أصناف وفئات المستخدمين، وذلك باعتبارها مكمنا لحمولة ثقافية رمزية بالغة التأثير، وهو ما نصطلح عليه في إطار هذا القسم من المقال، "بالإيديولوجيا العنيفة للاتصال". فالتكنولوجيا الاتصالية، تبدو بهذا المعنى حاملة لمنظومة الثقافة، فهي حالة اجتماعية ذهنية، وثقافية حضارية مشحونة بنسق متغير من الرموز والقيم والتصورات والتمثلات.

إن الحياد والموضوعية أوصاف غير موجودة إلا في كتابات المتخصصين ومناهج الباحثين، أما في الممارسة الاتصالية، فإن الرؤية الفكرية تسبق السلوك الاتصالي، لذلك أصبح مفهوم الاتصال الحديث، مرتبطا ارتباطا وثيقا بالإيديولوجيا الاتصالية، التي تعرف على أنها "نظام من الأفكار، يعبر عنه من خلال العملية الاتصالية، التي تشمل القائم بالاتصال، وطريقة استخدامه للنص أو اللغة أو الصورة (السّاكنة أو المتحرّكة)، التي تنقلها الوسيلة الإعلامية المطبوعة أو المسموعة أو المرئية".(محمد،2008، ص31) كما اعتبرت الإيديولوجيا كذلك، طريقة لإخفاء الواقع الاجتماعي مثلما ورد في أغلب التعريفات الموجودة في القواميس الفلسفية، لأنها تحاول تقديم عالم مزيف ومغشوش، وفرض وجهة نظر الطبقة المهيمنة على الطبقة الأضعف. وهو ما ينسجم مع رؤية «بول ريكور" " Paul Ricoeur "، الذي يرى أنها ظاهرة اجتماعية جديدة، ارتبطت بسلطة المجتمع الما–بعد صناعي، ودوره في الإدماج الاجتماعي والثقافي للأفراد بشكل يؤثر في طبيعة فهمهم وإدراكهم للعالم من حولهم. (فيليكس،2010)

لقد أصبحت الإيديولوجيا بهذا المعنى، قوة خفية لا مرئية، تحافظ على الروابط الاجتماعية للأفراد، من خلال ما تقدمه لهم من قيم وتصورات مشتركة. فكل ممارسات التبادل اللغوي في نظر "بيار بورديو" " Bourdieu"Pierre" تدور في مناخ يحكمه منطق العلاقات الاجتماعية المتوترة، في ظل هيمنة ما يدعى باللغة ذات الشرعية أو المصداقية، التي تمارس هيمنتها الرمزية، من خلال ما تنطوي عليه من مظاهر العنف الرمزي ضد كل من لا يخضع لتلك الهيمنة.

ويمكن تعريف الايديولوجيا انطلاقا من أبعادها الرئيسية التالية:

– المضامين الثقافية والفكرية للايديولوجيا.

– دور الإيديولوجيا في تمرير مجموعة معينة من القيم التي يمكن أن تكون تبريرا لرؤية معينة للعالم.

– يمكن للإيديولوجيا أن توجه اتجاهات وسلوكات المؤمنين بها، من خلال تزويدهم بأهداف أو غايات معينة، وبذلك تصبح أحد مكوّنات الثقافة الاجتماعية، التي يتمكن من خلالها الإنسان من رؤية العالم في إطار أشكال جديدة من الوعي الاجتماعي. **(حميدة،صفحة 17)** فالأدوات الاتصالية والمعلوماتية قد تحولت، إلى بنيات تحتية لدعم إيديولوجيا الاتصال وعولمة الثقافة. هذه الإيديولوجيا التي لا تطال المحتويات إلا بدرجات أقل، باعتبار أن " المحدد الأدواتي " هو الطاغي في هذا المضمار، إذ تتحول بموجبه المجتمعات والجماعات البشرية إلى كتلة موحدة منصهرة، أو يراد لها أن تنصهر، في فكر واحد وثقافة واحدة، ونموذج للتمثل واحد. (يحيى ، صفحة 40)

5 – الفكر الإنساني المعاصر،حتمية المتغير التكنولوجي ونقد إيديولوجيا التقنية:

لقد أصبح الفضاء الاتصالي العالمي، ساحة كبرى تصنع فيها الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، ويتحوّل فيها الفرد إلى كائن اتصالي دون أن يكون كائنا تواصليا. وقد طرح المتغير التكنولوجي إشكاليات اجتماعية وثقافية عديدة في إطار نسق جديد من المفاهيم حول علاقة الواقعي بالافتراضي، وإمكانية تحوّل الفضاءات الافتراضية، إلى بديل وملاذ يلجأ إليه الفرد لتحقيق الذات، وإدراك الحاجات الوجدانية والتواصلية التي عجز عن تحقيقها على أرض الواقع، وهو ما قد يحول العالم الافتراضي إلى تجليات واقعية كامنة في وجدان الفرد ومخيلته، تبتعد به عن التواصل الفعلي والحقيقي، وتبني بدلا عن ذلك الحواجز والعراقيل أمام وجوده المجتمعي المحسوس. فالشبكات الاجتماعية التفاعلية أو مجتمعات التواصل عن بعد، مثلما تصوغ انسجاما وتكاملا بين الإنسان

وذاته، وحوارا وتعايشا بين الإنسان والآخر، فهي كذلك تستطيع إشعال فتيل الصدام والاحتدام والصراعات الفكرية الراهنة.

فالتغييرات التقنية والثقافية التي عرفتها النظم الاجتماعية التقليدية خلال انتقالها إلى الفضاء الافتراضي الإلكتروني، أصبحت اليوم تفرض العديد من الأسئلة الإشكالية في علاقة جوهرية بالوعي الثقافي للجمهور، إذ أصبح في استطاعة الفرد في إطار الإعلام الجديد، أن يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعلق وينقد ويستفسر بكل حرية وبسرعة فائقة.

وأتاحت الشبكات المعلوماتية، الفرصة للمستخدم لإنتاج المضامين والرسائل والبيانات من خلال أشكال تعبيرية مختلفة كالمدونات ومنتديات الحوار. لكن إلى أي مدى تستطيع هذه المحتويات أن تتجنب فكرة التنميط الثقافي، وأن تراعي مفاهيم التعدد والتنوع وخصوصية المجتمعات وأولوياتها الاجتماعية والتنموية؟

وكيف يمكن تجنب آليات الهيمنة الأداتية، والخيارات السياسية والثقافية والتقنية التي تهدد باختراق ونسف المعايير الأخلاقية للتواصل؟ وهل يمكن لأخلاق التواصل، أن تؤسس رؤية نقدية وخطابا تقييميا لا ينصبّ فقط على " المنطلقات المنهجية والتقنية بل أيضا على الخلفيات الإيديولوجية"؟(نور اليقين،1991،صفحة 203)

لقد أدت التطورات الاجتماعية والثقافية التي صاحبت الظاهرة الاتصالية في أبعادها التقنية المختلفة، إلى تعزيز الفكر النقدي المعاصر في مجالات علم الاجتماع والثقافة والإعلام والاتصال. إذ برزت العديد من التصورات والرؤى النقدية عن دور الممارسة الاتصالية في حياة الأفراد والمجتمعات، وأهمها تلك التي تعرضت لعلاقة الإعلام بالظواهر المجتمعية، والتفاعل بين علم الاتصال ومنظومة العلوم الاجتماعية والإنسانية.

1-5 التكنولوجيا الاتصالية: حدود الحتمية وإمكانيات الخيار

إن الحتمية "Déterminisme"، هي اصطلاح فلسفي حديث، له دلالات عديدة لعل أهمها القول بوجود علاقات ضرورية ثابتة في الطبيعة، توجب أن تكون كل ظاهرة من ظواهرها مشروطة بما يتقدمها أو يصحبها من الظواهر الأخرى، أي أن جملة الأفعال الإنسانية ترتبط ببعضها ارتباطا محكما، لذلك تعتبر الحتمية في عموميتها مفهوما مركزيا في الفكر الإنساني ومعتقداته الروحية والثقافية، إذ يمكن أن تكون تحديدا لما يفترض للعقل عدم تجاوزه، أو تبريرا وتعليلا وربما تأجيلا لما يصعب تفسيره من تشكلات ونحل فكرية يراد ترويجها.

وقد انتقلت الحتمية من أصلها العقائدي إلى مجال التاريخ والمجتمع واللغة والاقتصاد والبيولوجيا، فكانت حتمية الصراع الطبقي، والحتميات التاريخية والبيولوجية واللغوية.

وأخيرا تسلّل هذا المفهوم إلى عوالم التقنية والتكنولوجيا ليتجلّى في مبدأ "الحتمية التكنولوجية" التي جعلت من التقدم التكنولوجي المطّرد متغيرا مستقلا لا شأن للمجتمع بتوجيهه أو إبطائه أو إيقافه، بينما تحول المجتمع إلى متغير تابع ليس له إلا أن يتكيف مع متغيرات التقنية وإبداعاتها بصورة ميكانيكية مجردة، ترى في هذه التحولات التقنية الصرفة معيارا للنماء والرقي الاجتماعي، وقدرا لا يمكن تجنبه لضمان البقاء وتحقيق الازدهار. وفي هذا الإطار تتنزل أبحاث "هاربرت ماركيز"، حول مسؤولية التكنولوجيا المعاصرة في تجريد الإنسان من حريته وإنسانيته، ذلك أن نقص الحرية لا يطرح نفسه اليوم على أنه واقعة لاعقلانية أو واقعة ذات صبغة سياسية، وإنما يعبر بالأحرى عن واقع أن الإنسان قد بات خاضعا لجهاز تقني يزيد من رغد الحياة ورفاهيتها.

وعلى هذا الأساس وضمن هذا الفهم المتغير للمعنى الاجتماعي والثقافي للتكنولوجيا الاتصالية، تظهر إشكالية تنازع أسبقية الوجود بين المجتمع الإنساني في مكوناته المادية والفكرية والرمزية، وبين التقدم التكنولوجي في سرعته وتعدد متغيراته المتداخلة. فهل يمكن اعتبار المجتمع وليدا للتغيير التكنولوجي السريع؟، أم أن التكنولوجيا لا يمكن أن تكون سوى صناعة للتغيير الاجتماعي الذي أوجدها ووفر لها أسباب نشأتها؟

إذا كانت الحتمية التكنولوجية قد ذهبت إلى بناء فرضياتها على أساس أن التكنولوجيا هي المتغير المستقل، المتحكم في جملة التغييرات الاجتماعية، فإن الخيار التكنولوجي يرى في التكنولوجيا استجابة لمطالب المجتمع وحاجات أفراده ومؤسساته للفكر التكنولوجي، القادر على تحويل المعرفة العلمية المتقدمة إلى منتجات تقنية، مع ضرورة بلوغ أعلى درجات النضج الاجتماعي الذي يمكن الأفراد من حسن المقارنة والاختيار من بين البدائل التكنولوجية المطروحة، فلا يختارون إلا ما يلبي المطالب الاجتماعية الحقيقية، دون انتهاك لحقوق الإنسان الأساسية، أو حط من قيمته في سبيل مزيد من المادة أو مزيد من التكنولوجيا.

2-5 العلوم الإنسانية ووظيفة نقد العقل التكنولوجي:

لقد أضفت التكنولوجيات الاتصالية المعاصرة صيغة العقلانية على ما يعانيه الإنسان من نقص في الحرية، وأعطت البرهان على أنه يستحيل تقنيا على الإنسان أن يكون سيد نفسه، وأن يختار أسلوب حياته. وهو ما يعطي للمجتمع آفاقا جديدة للاستبداد الأداتي التقني، الموسوم بالعقلانية.

فلم تعد التقنية بهذا المعنى، مجرد آلات ووسائل وأدوات عمل تحت تصرف الإنسان، بل تحولت إلى آليات جديدة تكرس منطق السيطرة والعنف، وتكشف خبايا عصر التقدم التقني وإيديولوجيا النظام التكنولوجي.

وعلى خلاف الطرح الماركسي، أصبحت الوضعية التقنية بمجالاتها المتنوعة غير حيادية، حيث ينفي "هابرماس" "Habermas» وجود الصفاء والحياد العلمي، فالعلم في سياق العقلانية التقنية تحايثه الحسابات السياسية أو إرادة القوة بالمعنى النيتشوي للفظة. وهو أمر يتطلب نقد هذه الوضعيات والتعبيرات الإيديولوجية الجديدة المكونة للحداثة التقنية.

فضمن المشروع النقدي لهابرماس، تتجاوز العلاقة بين التقدم التكنولوجي والتمثلات الاجتماعية مسألة التأثير أو المشاركة الفردية، باعتبار أن الإرادة السياسية داخل المجتمع، هي التي تحول

الاستعمالات التقنية والتوظيف التكنولوجي إلى لفيف من السلط الإضافية تساهم في عقلنة المؤسسات والممارسات، على خلفية فكرية تعتبر أن التطبيق العملي للمعرفة العلمية والتقنية الأداتية هو الكفيل وحده بتطوير المجتمعات وتقدمها، متناسية بذلك أن هذه التقنية يمكن أن تحوّل الإنسان نفسه إلى وسائل وأدوات، تقمع طاقته الإبداعية والتحررية **(Habermas، 1978، صفحة 48)**.

لذلك فإن "هابرماس"، يصف هذا الواقع بأنه عبارة عن مجرد انحرافات وقعت بالمسار العام للحداثة، لا بد من تصويبها لأن سعي البشرية وخلاصها يجب أن يكون من خلال عقل التنوير الذي يرفض تحول العقل التقني الذي أبدعه الإنسان وطوره إلى إيديولوجيا تحكم الناس وتقودهم باسم العولمة والحداثة – وعبر التطور التكنولوجي والإتاحة الاتصالية التي تتزايد يوما بعد يوم – إلى كل ما هو عابر وخادع وممتع وعنيف.

إن الأخلاق التواصلية من وجهة نظر "هابرماس" "Habermas"، مسؤولة عن بناء الإطار العقلاني للتوافق والتفاوض بين مختلف الآراء والأذواق، دون اللجوء إلى العنف لأن النشاط التواصلي الإنساني من خلال تفاعلاته اللغوية والرمزية، قادر على احتواء الصراعات الفكرية المختلفة، وتأطير الممارسات التواصلية بمضامينها التفاعلية وأشكالها الديمقراطية لتحقيق ما يسميه " الفاعلية التواصلية"، القادرة على تحقيق التواصل الحقيقي بين الأفراد في إطار الفعل الاتصالي والتعايش الذي يقوم على التفاهم والحوار واحترام الرأي الآخر **(Habermas، 1978، صفحة 122)**.

إن التقنية قد يسرت حياة الناس، وغيرت عاداتهم وأساليب عيشهم ولكنها في المقابل أعادت صياغة مجمل العلاقات والأدوار والوظائف الاجتماعية، وحولت كلام الأفراد إلى صمت ولغاتهم إلى إشارات وشيفرات.

لقد ارتبطت عمليات التغيير الاجتماعي بمستوى تطور المعايير والقيم الاجتماعية الأصلية باعتبار أن المجتمع العقلاني هو المجتمع الذي يشارك فيه الجميع بمستويات رفيعة من التنظيم الاجتماعي القائم على الحوار والتفاعل بين أطراف العملية التواصلية.

لقد نشطت التكنولوجيا في تصنيع العمل الاجتماعي وأضفت الصفة الآلية والتقنية على حياة الناس. فكل عقلانية تكنولوجية، يرافقها منطق للسيطرة، يهدف إلى إخضاع الإنسان، وبالتالي تحويل هذه

السيطرة من خلال آليات العنف والاعتداء والتحقير إلى مؤسسة لها شرعيتها الاجتماعية والسياسية المعقلنة **(طرابيشي هـ.، 2004، صفحة 194)**.

لذلك لابد من مراجعة المناهج والمنظومات المتعلقة بالتطبيقات والاستخدامات التكنولوجية في المجالات الاجتماعية والبيئية والثقافية، والعمل على تطوير تكنولوجيا المعلومات على أساس ثقافة الخيار التكنولوجي، الذي يحول تكنولوجيا الواقع الخائلي إلى وسيلة "لدمقرطة التعقد المعرفي"، وجعل ظواهره في متناول العامة، بالإضافة إلى نشر المنتج الثقافي للإنسان والتعامل مع المسألة الثقافية بصفتها تراثا أصيلا وإبداعا تعبيريا منتجا للسلع والخدمات والأصول الرمزية، يساهم في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية ويلعب دورا حيويا في تكامل المنظومة الثقافية مع بقية المنظومات الاجتماعية الأخرى، على أساس تحويل هذه التكنولوجيا إلى بيئة مثالية لحوار الثقافات والتهجين الثقافي. **(علي)**

6-قائمة المراجع

Bougnoux, D. (1998). *¨Introduction aux sciences de la communication¨.* PARIS: , La découverte, syros.

Elias, N. (2009). *La société des Individus.* www.aix-mrs.iutm.fr / formation / filières / ses / fc / individusociété.htm,.

Habermas, J. (1978). *La technique et la science comme idéologie.* Paris: Denoel-Gonthier.

Hamman, R. (2010, 10 23). ¨Introduction to virtual communities¨. (.. l.-1.-h., Éd.)

Marshall Mac Luhan, 1. (1972). *la Galaxie Gutenberg face a l'ère de l'électronique.* Paris: Marne.

Morin, E. (1997). *Sami Nair, une politique de civilisation.* Paris: arléa.

المعلوماتية, م. (s.d.).

http://informatics.Gov.sa/magazine/modules.php?name=Sections&op =viewarticle&artid=147, ,) 29/10/2006(.

اليحياوي, ي. (2002). *في العولمة والتكنولوجيا والثقافة*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

أمان, م. م. (2000). *الأنترنات في المكتبات ومراكز المعلومات*. تونس: لمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

بدوي, هـ. ح. (2004). *الاتصال بين النظرية والتطبيق*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

جلال, ا" (2004). العولمة ووسائل الاتصال) م. ا. والاجتماعية (Éd., *المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية*.(28)

خميس, ا. ع" (s.d.). *الرقابة على الأنترنات في العالم العربي :وسائل الإعلام الجديدة وانحسار فعل الرقابةالثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة.*

رضوان, غ. ب) .الكويت" .(*المعلوماتية بعد الأنترنات)طريق المستقبل"(*، 1998: ،. سلسلة عالم المعرفة.

سليمان, ب" (2009). العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية. *مجلة علوم إنسانية*.40 ,

شومسكي, ن. (3003). *السيطرة على الإعلام*. القاهرة: مكتبة الشرق الدولية.

صادق, ع. م. (2007). الإعلام الجديد دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة. "*مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك*.(2)

طرابيشي ,ج .(2000) .*من النهضة إلى الردة، تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة* .دار الساقي.

طرابيشي ,هـ .م .(2004) .*الإنسان ذو البعد الواحد* .بيروت :دار الآداب للنشر.

علي ,ن .(s.d.) .*الثقافة العربية وعصر المعلومات*.

يوسف ,ب .ر .(s.d.) .الاتصال الجديد والديناميات الثقافية في المجتمعات المعاصرة .*أبحاث المؤتمر الدولي، الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة* .